«صلاة الغائب» لزينب عساف:

تعدٌّ ما تبقى فيها حيا بين طعنة وأخرى!

حسين جلعاد*

■ نادرة تلك الدواوين الأولى للشعراء الشباب التي لا نجد فيها تصاديا مع كبار الشعراء، أو محاولة للنسج على منوال ما شاع من التجارب الراسخة.

الشاعرة اللبنانية زينب عساف تطلق ديوانها الأول «صلاة الغائب» بشعرية لافتة، لا تقول فيها إلا ما خبرته روحها، تقيس العالم بعينين مليئتين باللمعان، وبرؤى مفعمة بالتمرد والجموح، ترسم بورتريه آخر للحياة عبر الإفصاح عن تفاصيل الذات الخصوصية.

مفتتح الديوان يطلق التماعة درامية مكثفة عما سيأتي لاحقا، يخبر بايجاز عن هويته ومحتواه، كما لو في صورة سينمائية تبرق عمّا هو مستودع في الديوان، وتهيئ القارئ لاستقبال ذلك العالم الساكن في ظاهره، ولكن العميق والغائر بتفاصيله الموجعة:

كنت بريئة كما ينبغي
لقصة أن تبدأ:
وحيدة
أنتظر الجنةّ
بحجاب أسود.

«الثآليل»، وهي مجموعة القصائد التي تفتتح النصوص، هي بحسب منطوق المروي الشعبي، خطايا الليل، إن جاز التعبير، إنها نجوم الوحدة الليلية التي نعدّها ونحن نبحلق في سماء العزلة، فتنبت الأمنيات ميتة على أيدينا في الصباح التالي.

هذه الثآليل هي مقدمات، بل ومؤثثات، للنص المركزي الأساسي «صلاة الغائب» الذي يأخذ الديوان اسمه وهويته منه، بمعنى أن الثآليل الأولى هي استخلاصات القلب المنهك وسخرية الزمن الحاضر، فيما تمثل «الصلاة» تاريخ الشخص، أو ماضي الذات الشاعرة:

ها هي الحياة تمنحني
أشهى الجراح
وأنا بين طعنة وأخرى
أتحسس
ما بقي فيّ حياً.

ينقسم الديوان إذن حسب ذلك إلى نصين: أولهما ما يمس حاضر الرؤى، فيما يأخذ النص الثاني معانيه من الذاكرة البعيدة، القاعدية والمؤسسة لما سيأتي لاحقا زمنيا وتجربة، وذلك وفقا لإيقاعين زمنيين مختلفين، ولغة مكتوبة في شقها الأول بالتماعات يومية مباشرة، فيما ينهل التعبير عن الماضي من مخزون سردي شعري، إن جاز التعبير، لجهة أن التذكر يفرض نفسه على شكل أقاصيص أو صور متلاحقة ترسم كل جزئية منها جانبا من البورتريه العام لتلك البنت «من الكانتون الشيعيّ»، التي كانت تشبه آلاف البنات ولا تشبه –في الوقت ذاته– سوى نفسها.

قصائد الجزء الثاني من الديوان، تأخذ القارىء إلى محيط محافظ، لا تكون فيها الذات الإنسانية عموما متحققة إلا بكونها محض هامش صغير ومهمل، في لوحة العقل الجمعي الضاغط اجتماعيا وفكريا وتاريخيا، بحيث تأتي المرأة والحالة كذلك في أدنى أولويات الاهتمام، بل إنها تُدفع بعيدا عن المشهد الجمعي، ذلك أنها تشكل عنوانا لإحباط الأب وخجله من إنجاب البنات، فيما هي أيضا غمّ يشبه العار للام التي لا تفعل شيئا سوى زيارة قبور الأولياء، وتعداد الأحلام الميتة.

كما أن الشاعرة تحيل استقراءها الشخصي ذاك، إلى إحالات تاريخية وقداسية متعددة المستويات والرؤى، فهي تنطلق من مفارقة اسمها الشخصي الذي تحمله تيمنا بزينب الكبرى في الإرث الشيعي، لتسحب خلفها غبار الزمن، وتثير من حولها تراث الطمس الذي تراكم بفعل الأفكار الجماعية القسرية، حيث الحياة، والحالة كذلك، محض بكاء دهري لا يتوقف عند حدود الاستعادة الطقسية لذكرى عاشوراء، بل هي حياة مسلوبة بالكامل، لا ملامح شخصية فيها، إلا بمقدار ما تنجح الذات في بلوغ قمة انسحاقها وصولا إلى لحظة موهومة من القداسة، فيما يتطلب ذلك الوجود المحافظ أيضا توحدا حقيقيا من الذات المأزومة مع نموذجها التاريخي، إذ أنه في ظل استلاب فردانية الإنسان، فإنه لا يبقى سوى درب السبايا القديم تسير فيه عمرها المقموع، رغم المحاولات التي لا تنتهي في الاحتيال على تلوين الحزن بأثوابه الأبدية السوداء:

ألف فتاة أخرى تحمل
الاسم نفسه
زينب
في الكانتون الشيعيّ
تحمل الأحلام نفسها
كأن الله رسم ملامحنا على عَجَل
مسروقة كالفرح أعيننا
بعضنا يبالغ في التبرجّ
يطردن الحزن بالألوان
بعضنا يجعلن أثوابهن السود
أشرعة لشبأن ملتحين
لكنه الاسم نفسه
يولول في عاشوراء فنبكي
نبكي حباً مستحيلاً
نبكي ملاحم شخصية
تصبح كل منا زينباً حقيقية
تحمل رؤوسها إلى النحر مبتسمة
تسير مع السبايا
من يراها؟
من ينصر زينب وهي تنادي؟
(هذا الغلّ
عندما علقّته جدتّي في عنقي
قالت: عليك أن تستحقيّه)
مازلت أحاول.

زينب عساف (القدس العربي)

التحول الدرامي في الذات الشاعرة، سيبدأ من مغادرة ذلك الزمن القديم، ومن الافتراق عن صورة البنت الصغيرة التي «خبّأت أمير العرب تحت فستانها، فتاة الألف معركة وأكواخ التنك، زينب الخجولة بحمرتها، الفخورة بأشواكها"، حيث تكف (زينب) عن كونها مجرد نسخة أو شكل مصمت يشبه الآلاف، لتتكشف عن وجه خاص متحقق ومتعين الخصوصية وهو أمر قد لا يحدث إلا بمفارقة الوعي القديم زمانيا ومكانيا حيث تغيب القرية القديمة لتظهر مدينة جديدة بكامل شروطها وانعكاساتها على جوانية الشاعرة:

بما تبقىّ من شيعيتّي
أرغب بتلك المدينة
وبجنةّ
لا تمرّ
من تحت حجاب.

في التحولات اللاحقة، التي تتصدر الديوان عمليا وتخلف رؤاه العامة، الراسخة والأكيدة، ستنقلب المرارة والانسحاق إلى تمرد رافض، ولكن أيضا إلى رؤية مفارقة مضمخة بالسخرية والجروح التي ستعيش، حيث يصبح حجم المفكر فيه، أكبر من أن تخفيه تداعيات شعرية، بقدر ما تفصح التوقيعات الشعرية المكثفة عن مواقف تنحو باتجاه التسليم بصلادة الواقع وبرودته:

الأحلام التي لا تتحقق
وتلك التي تبلغها دون أن تنتبه
جروح مضيئة.

يبقى مفتاح النص، أو الديوان بأكمله، وسر الحياتين القديمة والجديدة معقودا باستراتيجية العنوان، بالغ الدلالة، فهو وإن كان يحيل إلى مرجعية فقهية، في دلالة الصلاة على ميت غائب انتهى وجوده، وهو الحياة القديمة في هذا السياق، فإنه يحيل أيضا إلى ولادة جديدة تمخضت عن فناء الماضي، حيث تستقبل الذات حياتها الجديدة بكامل جموحها، ولكن بذكرى جراحاتها السابقة أيضا.

الديوان إذن يستمد شاعريته من التمرد، ورسم التاريخ العام على نحو خصوصي مضاد ورافض، كما أن تلك اللغة الحارة والموجعة لا تدعي بلاغة معجمية، بل ترتطم بالوجع الخصوصي حد مصادقة السأم أحيانا واستئناس الوحدة، بما هي نافذة تنفتح على غناء فردي يريد أن يتحرر من الجموع، ليكون محض رأس حاسر يعبر النهر ببساطة وبلا رهبة، أو مجرد قصيدة «مدفونة بحنان» بين الأوراق.

سأحدثكم عنها
التي شربوا دماءها
هؤلاء الذين لا يشربون الكحول.
....
زينب المشنوقة
بحبال سرتّكم
مدفونة بحنان بين أوراقي.

* شاعر من الاردن

قولي لهم إنهم أحَطُّ من الكلاب!

سعدي يوسف

■ فجرَ اليوم ، الرابع عشر من آذار 2006 ، وفي الساعة الرابعة والنصف بعد منتصف الليل ، كنتُ أتابع برنامج «في منتهى الصراحة » Hard Talk، من القناة الأولى في التلفزيون البريطاني ، وهو برنامجٌ أحمدٌ للقائمين عليه شجاعةً يتحلَّونَ بها ، لم تَعُدْ متواترةً في أيام البيع والشراء هذه .

المفاجأةُ التي يصحُّ عليها القول الإغريقي : «تَوَقَّعْ غيرَ المُتَوقَّع»، كانت في حضور جانس كارْبنسكي . ولمن لا يُعنَونِ بحفظ الأسماء ، أقول إن جانس كاربنسكي هي آمرةُ سجن أبوغريَب التي حوكمتْ فخفَّضَتْ رتبتَها العسكرية ، وسجن ثلاثةٌ من جنودها ، دفناً لكلّ ماجرى .. ودفعاً للجسد !

في البرنامج تحدثت كاربنسكي بصراحة مرموقة ، مدافعةً عن نفسها ، موجِّهةً نيرانَها إلى الآخرين بدءاً بالرئيس بوش ووزير دفاعه رامسفيلد ، وانتهاءً بالقَادة الميدانيين الأميركيين في العراق المحتلّ.

قالت كاربنسكي إن آمر معتقل غوانتانامو الذي جاء إلى بغداد ليرتبّ أمور السجن حتى بعد افتضاح وقائع التعذيب ، قال لها بالحرف الواحد :

«انسَي اتفاقيات جنيف .. قولي للمعتقلين (العراقيين طبعاً) إنهم أحطُّ من الكلاب ، وعامليهم معاملة الكلاب وإلاّ فقدت السيطرةَ عليهم».

ثم ذكَرت أن التعامل مع المعتقلين خارج اتفاقيات جنيف ، أُبلغَتْ به في مذكرة موقّعة من قبلَ رامسفيلد ، وزير الدفاع ، مع تفصيل دقيق جداً لوسائل التحقيق ووضعيّاته (أي الاستنطاق تحت التّعذيب) ،ملحَق بالمذكرة . أمّا جنودُها الثلاثة فقد سُجِّنوا ، للتعمية ، سجناً ما كان ينبغي أن يحدُث ، إذ كانوا يعتقدون أنهم ينفّذون الأوامر .

على أي حال ، كانت كاربنسكي تلقي بالمسؤولية على سواها ، مؤكدةً أنها لم تَعُد مسؤولةً عن سجن أبو غريَب منذ أيلول 2003 .

أخيراً سألها مقدم البرنامج :

هل ترَينَ وجوبَ إغلاق معتقل غوانتانامو ؟

ـ نعم .

وأبو غريَب ؟

ـ بالتأكيد .

لندن 14/3/2006

«النهر المحول» للروائي الراحل رشيد ميموني:

عن الزمان الستاليني ومكانه!

الخير شوار*

■ صدرت ترجمة هذه الرواية، التي كتبها صاحبها باللغة الفرنسية في إطار جهود بعض المترجمين، في سبيل «عودة النص» الجزائري المكتوب بالفرنسية، مثلما جاءت تسمية لدار نشر تونسية نشطت في هذا السياق،

وقد تم نشر هذه الرواية التي ترجمها الكاتب والأكاديمي المعروف، عبد الحميد بورايو، في إطار ملتقى رشيد ميموني الذي تنظمه مديرية الثقافة لبومرداس، وذلك عن «دار الحكمة»، وقد اعتمد المترجم على الطبعة الأصلية للرواية التي صدرت عن دار لا فوميك سنة 1986م.

النهر عندما يكون مساره طبيعيا في العادة يصب في البحر، وبهذا تسير الأمور بشكل طبيعي، لكن المفارقة تبدأ عندما يراد بمياه هذا النهر أن تتحول عن مجراها الطبيعي وتسير في سبل أخرى غير طبيعية، وانطلاقا من هذه المفارقة العجيبة، انزاحت الأحداث عن المسار العادي، وبدأت أحداث تلك الرواية، منذ هذه اللحظة الصادمة التي تسلسلت منها الأحداث، ودخلت الشخصيات في دوامة من الأجواء العبثية، لتستمر على هذا المنوال إلى النهاية، عندما يقتحم عالم السرد شخص ذو هيئة متخفية ليعلن لنا موت ستالين، نهاية كابوس وفجر عصر جديد، لينتهي بذلك العصر الذي بدأ بلحظة تحويل مجرى النهر إلى غاية موت السيد جوزيف ستالين، الذي يأتي فجأة هكذا بدون سابق إنذار، ونحن نعرفه خارج النص كزعيم للاتحاد السوفييتي تميزت فترة حكمه بالبطش والترهيب، بل أصبحت تلك الحقبة تسمى «الستالية» بل وأصبحت «الستالينية» نزعة تسلطية خارج الزمان، وقد تربط بأي مكان ولا ندري إن عاد النهر المحول إلى مجراه الطبيعي أم لا، لأن السرد كان قد توقف عند هذا الحد، وكأنه خرج مع أنفاس ستالين.

ولئن كان ستالين كاسم قد اقتحم المشهد فجأة بدون مقدمات منطقية، فإنه كنزعة تسلطية «ستالينية» كان حاضرا منذ البداية بسلطته الأبوية البتريركية، بتعبير المفكر الفلسطيني الراحل هشام شرابي، ونلمس هذه السلطة منذ الصفحات الأولى عندما يقول لنا السارد، أن أباه أخذ بيده وقاده إلى حيث دكان الإسكافي، آمرا إياه أن يبقى عند هذا الإسكافي الغريب، ليساعده في عمله وليتعلم هذه الحرفة، رغم إرادة السارد الذي يسأل بتلقائية عن السبب، ليجيبه الأب البتريرك بلغة ستالينية قاطعة «أنا أبوك، يجب ألا تناقش أوامري».

في ذلك الجو البتريركي المحول عن مجراه الطبيعي، تقترب الأحداث من السريالية، ويغيب المنطق الذي يضبط العلاقة بين الأسباب والمسببات، حين تصاب العصافير مثلا بما يشبه الجنون فقد «هبطت من أغصان الأشجار وأخذت تنقر الازهار في لحظة تم القضاء على الحديقة، بعد ذلك طارت العصافير واختفت»، ولا تسأل عن سبب هذا التصرف الغريب طالما أن الواقع انزاح عن طبيعته وأطبقت الستالينية قبضتها على منطق الأشياء.

ويذهب النص بعيدا في البحث عن جذور تلك السلطة البتريركية الأبوية، ليرجعها إلى أصلها البيولوجي، قائلا في بداية النص، إن الإدارة (الأبوية) تدعي بأن حوينياتنا المنوية مخربة، ولا يشاطر السارد الإدارة هذا الرأي، وعلى الأقل فيما يخصني، معلنا تملصه من هذه السلطة التي سيطرت على منطق الأشياء كلها وقولبتها في منطقها الخاص، ولم تتمكن منه، وهو الذي رصد تلك المآلات العبثية لهذا العالم الستاليني الغريب، معلنا تمرده على هذه السلطة صراحة في مواقع أخرى من النص، عندما يقول مخاطبا الأب البيولوجي، والرمزي في نفس الوقت، «ماذا فعلت لكي تكون مستحقا لهذه التسمية، اذا ما تركنا جانبا كونك وفرت الحيوان المنوي الغامض الذي اخصب البويضة التي ولدت منها»؟

في هذا الجو الغرائبي تختفي العصافير وتشيد الجسور العملاقة فوق وديان جافة، ويتحول الفلاحون إلى تماثيل من حجر، ولا يعرف عبثية هذا المشهد إلا ذلك الذي رفض الانصياع للسلطة الستالينية.

وما يلاحظ في الأخير، هو زئبقية الزمن، إضافة إلى غياب أبعاد واضحة للمكان، فإحدى الشخصيات واسمها «الشيخ خمسة وعشرون» يبرر اسمه، بأنه ولد في سنة 25، لكننا لا نعلم التقويم إن كان ميلاديا أو هجريا أو تقويما آخر، فالحيز الذي تدور فيه الرواية يبقى خارج الزمان والمكان، لكنه في زمان ومكان ستالينيين وهذا هو المهم، بل تلكم هي المأساة.

* كاتب من الجزائر

قص

شفاه تُغري بارتكاب الشر

الطاهر شرقاوي*

■ أنصتَ الولد باهتمام، لأن البنت في هذه المرة كانت تتكلم بجدية، ولمح بالفعل دموعا تترقرق في عينيها، وهي تتحدث بصوت خفيض، متقطع، وتعاني من صعوبة اختيار كلامها. قالت : بالتأكيد ستكرهني، عندما أخبرك أنني شريرة، شريرة حقيقية، لدرجة أنني أحيانا لا أعرف نفسي، دائما أفكر في ذلك الشيء، أن أجربه ولو لمرة واحدة في حياتي، وأموت بعدها، أجرب القتل، تتملكني رغبة ملحة في رؤية الفزع، المرتسم على الوجه، جحوظ العينين، وتقلص الجلد، ظهور الحقيقة المختفية بالداخل، الضعف الذي سيبزغ كاملا، منتصبا وهشا، متجسدا في صيحات الألم والتوسل، لا أود قتل أي أحد، أرغب في قتل شخص أحبه، قريب مني، لدرجة تجعلني أفعلها بإتقان وحرفية عالية، وأتخلص من حبه لي إلى الأبد، وستكون أسئلته التي بلا أجوبة، عن أسباب قتلي له، هي الأكثر ألما، أثناء طلوع الروح.

أول مرة عرفتْ فيها البنت أنها شريرة، كانت من سنوات طويلة، عندما أطلقتها أمها، بصوت زاعق وغاضب: أنت شريرة. لا تتذكر الآن، الأسباب التي دفعت أمها، إلى أن تصرح بذلك، ربما كان سببا تافها لا يستحق، أو لأن الأم أرادت أن تصرخ في وجه أي أحد في البيت، وبعيدا عن الأب الغائب في الشغل، والأخ المراهق، الفخور بعضلاته، كانت هي هذا الأحد، المرشح لتلقي النبوءة. بعدها تلقف أخوها الكلمة، وأخذ ينعتها بها كل يوم تقريبا.. نعم، كانت البنت تفكر مع نفسها، بتجربة أشياء شريرة، وأحيانا ترتكبها فعلا، وكانت تستمتع بذلك، لكنها تظل دائما أشياء صغيرة، لم تصل أبدا إلى درجة ارتكاب القتل، قتل أناس قريبين منها. وما لم تقله البنت للولد، أنها الآن تفكر في عائلتها الصغيرة، المكونة من أب ميت، وأخ غبي، وأم وقعت في غرام التليفزيون، والكلام بحب عن أيام زمان. تفكر في أخيها مرة، وفي أمها مرة أخرى، تسيطر عليها الفكرة لأيام، وتدفعها للتخطيط في الموضوع بجدية، قبل أن تختفي الفكرة، بنفس السرعة التي ظهرت بها.

في آخر زيارة لها إلى بيت العائلة، في المدينة الصغيرة، اكتشفت أنه ضيق جدا، على عكس ما كان مرسوما في ذهنها، وأنه يحتاج إلى ترميم وطلاء، لإخفاء بعض الشقوق والبقع، التي ظهرت بشكل واضح على حيطانه، كما اكتشفت أيضا، أنه في أوقات مختلفة، تتجول بداخله سحابة من التراب، لها رائحة مكتومة، تجعلها تعطس بشدة، وعلى الرغم من أنها كانت تزوره على فترات متباعدة، إلا أنها لم تأخذ بالها من ذلك، إلا في تلك الزيارة فقط، كانت حائرة ومتضايقة، وهي تُصرّح في غضب: لماذا لم أعرف ذلك من قبل؟ حتى النخلات الماثلة، التي كانت تطلعها وهي صغيرة، سقطتْ، وصارت أشجار البرتقال، مجرد عيدان ناشفة مغروسة في الأرض، اختفى الصندوق الخشبي المتلئ بالكراكيب، ولم تعد هناك سحالي وأبراص تصطادها.

حينما شافت البنت، حديقة ترابية بلون كالح تحيط بالبيت، تمتلئ بطوب وورق وأشجار جافة، لحظتها بزغ شيء شرير بداخلها، سرعان ما كبر بشكل مخيف، معلنا عن نفسه.. شيء يُوجع القلب، ويُدعى الكره.. كان موجودا من قبل في جسدها، لكنه كان ضامرا، في حجم عقلة الإصبع، ولا ضرر منه.. الكره لكل ما حدث.. للبيت الذي لم يستطع الاحتفاظ باتساعه مدة أطول، للأشجار التي جفت، للسحالي التي فضلت العيش في أماكن أخرى. الكره لأمها وأخيها، لأنهم بشكل ما، كانوا مسؤولين عما حصل، متيحين له فرصة الانبثاق.

فكر الولد أنه مغرم بالشر الموجود داخل البنت، وربما كان أهم شيء يشده ناحيتها، وأنها تبدو مثيرة أكثر وهي شريرة. لحظتها ألحت عليه رغبة، في أن يقبل شفتيها، بص على وجهها، وبجرأة لم يمارسها من قبل، مد إصبعه السبابة، مرره ببطء على الشفتين المضمومتين، بدتا له مثل شريحتي برتقال، ارتجفتا قليلا مبتعدتين عن بعضهما، ثم عادتا إلى الانضمام، وكان ارتعاش خفيف يسري في جسده. بعدها، أحس برغبة في التخلي عن صمته، في أن يجرب شهوة الكلام، يمارسه باندفاع، وبلا توقف، وكأنه شعر بتساؤلات البنت، عن الاكتشافات التي تأتى بغتة، فقال : هناك شخص وقع في الحب كثيرا، واحدة وراء الأخرى، حتى وصل عددهن إلى سبع حبيبات، وعندما تركته آخر واحدة، اكتشف فجأة أن كل حبيباته، تحتوي أسماؤهن على حرف السين، كان اكتشافه ذلك مثل الومضة، التي تأتي فجأة، فتشوف لأول مرة، أشياء كانت طول الوقت قدام عينيك، لم يكن هناك قصد من ناحيته، وبدا الأمر له مثل السحر. لم تعلق البنت على الحكاية، لأنها كانت مشغولة من ناحيتها، في سؤال نفسها: هل كنت شريرة حقا، عندما تركت بيت العائلة، وانفصلت عنهم، تاركة أمي لوحدها هناك ؟. فكرَتْ أن تُشرك الولد في تساؤلاتها، لكنها ظلت صامتة، مواصلة تفكيرها: أن كوني شريرة شيء لا يدعو للانزعاج أو القلق، وانه في النهاية أمر عادي جدا، مثل كوني نحيفة، أو طويلة، أو ذات شعر أسود، حتى كوني قاتلة ليس سيئا بالمرة.

قررت البنت، أنها لن تذهب مرة ثانية إلى بيت العائلة، ليس بسبب الكره الذي تحمله له، بل لأنها اكتشفت أن جزءا مهما من حياتها، قد انهار تماما، لم يعد له وجود، حتى أنها لم تعد تمتلك دليلا ماديا واحدا، على أنها عاشت طفولتها، كما كانت تحكيها لنفسها قبل النوم، وكما كانت تحكيها بحنين وحب إلى الآخرين. المأساة المؤلمة، أنه كان الجزء الأكثر حضورا في ذاكرتها، بتفاصيله الصغيرة، وروائحه وألوانه وأصواته. بأمسياته الشتوية حول النار، والمفتشة البدينة، وفخاخ صيد العفاريت، وأمنياتها العبيطة.. هل كانت تلك الأشياء حقيقية ؟. أم أنها كانت تحاول أن تخلق شيئا جميلا، تزين به حياتها الشريرة ؟. في تلك اللحظة، بص الولد ثانية إلى شفتي البنت، كانتا مسكونتين بالشر فعلا، الشر الذي يُوقع في الأسر من أول نظرة، وفي نشوة أستسلم له على الفور.

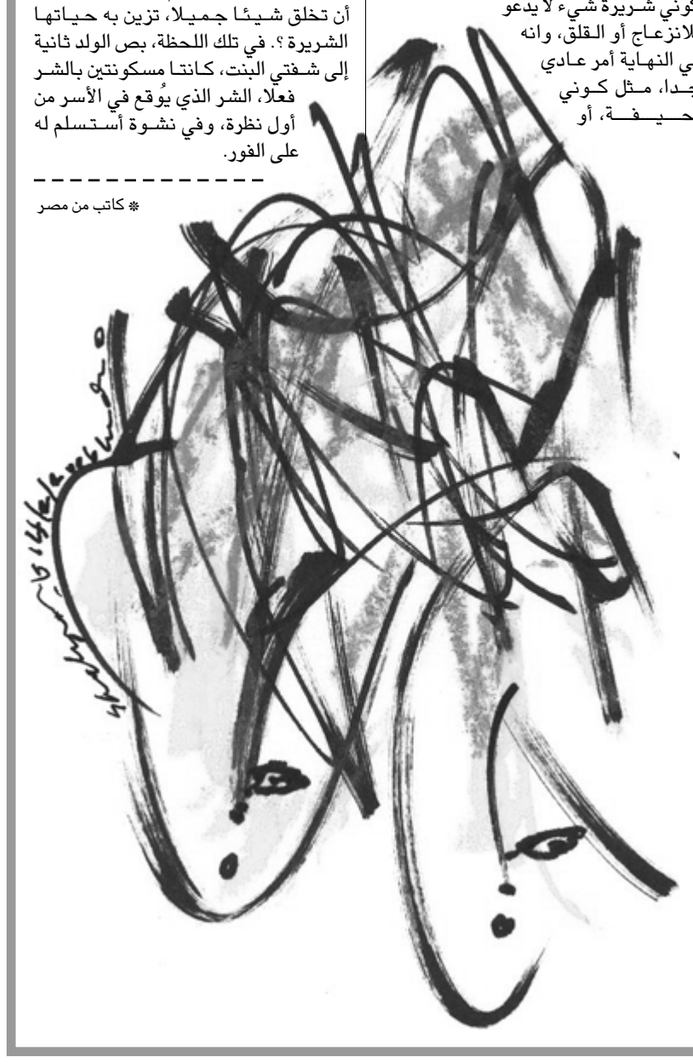

* كاتب من مصر

انطلاق فعاليات : 2006 سنة ابن خلدون بتونس

تظاهرات ثقافية في جهات تونس وندوة عالمية حول الفكر الخلدوني

تونس ـ «القدس العربي» ـ من شمس الدين العوني:

تعيش تونس هذا العام على إيقاع الفكر الخلدوني الذي أسس له العلامة عبد الرحمن بن خلدون حيث أعدت وزارة الثقافة والمحافظة على التراث برنامجا ثريا وشاملا يخص مختلف الفنون انطلاقا من الندوة الدولية والفعاليات الأدبية والفكرية والمسرحية والتشكيلية.

وأبرز وزير الثقافة والمحافظة على التراث الدكتور محمد العزيز بن عاشور أهمية المنزلة التي نالها ابن خلدون في العالم من خلال طرحه الفكري والحضاري في مجالات علم الاجتماع والعمران وما مثله ذلك من مبادرات للحوار الحضاري بين الشعوب والثقافات، فعبد الرحمن بن خلدون ولد بتونس ومنها انطلق نحو الرحاب الأخرى في هذا العالم حيث انتشر فكره وأدبياته وأطروحاته التي صارت محل اهتمام ودراسة لإضافتها المساهمة في الفكر الإنساني منذ حوالي 650 سنة.

وفي هذا السياق عدد الوزير مختلف الإنجازات الحاصلة في القطاع الثقافي بتونس ومنها صدور النصوص المنظمة للمؤسسة الوطنية للترجمة وإنجاز مدينة الثقافة الذي يشهد أطوارا متقدمة والبناية الجديدة لدار الكتب الوطنية.

برنامج هذه التظاهرات موجه إلى مختلف فعاليات المجتمع وشرائحه ومستوياته كما تنتظم تظاهرات أخرى خارج تونس بالتعاون مع مؤسسات أكاديمية وبمشاركة العديد من المفكرين والمثقفين.

هذه الفعاليات تشرف عليها وزارة الثقافة والمحافظة على التراث بمساهمة أطراف أخرى منها اليونسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وبلدية تونس.

هذا وتصدر كتب ومؤلفات مختلفة بهذه المناسبة منها تحقيقات لمؤلفات العلامة عبد الرحمن بن خلدون أولها تحقيق الكتاب الأول من المقدمة لإبراهيم شبوح وإحسان عباس وتحقيق التعريف بابن خلدون ورحلته وحله غربا وشرقا لإبراهيم شبوح أما المؤلفات فضمنها كتاب للدكتور عبد الوهاب بوحديبة باللغتين العربية والفرنسية في طبعة ممتازة بعنوان «في خطى ابن خلدون» فضلا عن كتاب خلدون للأدبية ناقلة ذهب كما تخصص مجلة الوزارة «الحياة الثقافية» عددا ممتازا لهذا الحدث.

كما تشهد البلاد عديد المعارض فيها الوثائق والتراثي والأثري منها المتنقل ومنها القار منها معرض دار الثقافة ابن خلدون بداية من شهر نيسان (أبريل) القادم.

المكتبة الوطنية تشهد معرضا وثائقيا حول ابن خلدون وتلك في شهر ايار (مايو) وفيه مخطوطات ابن خلدون المحفوظة وصور لأقدم المخطوطات المودعة في كبريات المكتبات العالمية ونسخ من ترجمات «المقدمة» ومختارات من أشهر الدراسات والبحوث حول الفكر الخلدوني فقط عن خارطة رحلات وأسفار ابن خلدون إلى مختلف الأقطار التي زارها. كما يحتضن مقر اليونسكو بباريس يوما إعلاميا حول ابن خلدون إضافة إلى مشاركة تونس في المعرض الذي تنظمه إسبانيا بعنوان: «ابن خلدون والمتوسط في القرن الرابع عشر»، وذلك في القصر الملكي باشبيلية.

ونظم بيت الحكمة الملتقى العالمي حول «ابن خلدون ومنابع الحداثة» وذلك بمشاركة أكثر من تسعين باحثا عربيا وأوروبيا من تونس والجزائر ومصر ولبنان وسورية والمغرب واليمن والبحرين والسعودية والعراق وإيران وإسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وانكلترا وكندا والبرتغال. ويلتقي الباحثون حول الأثر الخلدوني ومختلف منازعه الفكرية والحضارية والثقافية في مجالات علم الاجتماع.

وبخصوص الجانب التنشيطي الوطني لهذه التظاهرة فإن مختلف الجهات تشهد تظاهرات متعددة على مدى السنة وتمس الجوانب الأدبية والفنية التشكيلية والمسرحية وذلك وفق برامج مفصلة تشهدها دور الثقافة في الأحياء والمدن.

وبالمناسبة تنجز لوحة رخامية للتمثال تبين بلغات مختلفة جوانب من سيرة ابن خلدون فضلا عن المسلك الثقافي الذي يربط بين البيت الذي ولد به ابن خلدون بالمدينة العتيقة بتربة الباي والمسجد التي تلقى فيه العلوم باتجاه جامع الزيتونة وإعداد الجوانب الفنية التي يستلزمها هذا المسلك وخصوص الإثارة.

هكذا تكون تونس على إجماع ابن خلدون العلم الشامخ في الفكر الإنساني والحضاري عموما.